المصدر: الاهـــرام العـربـى
التاريخ : ٢٠٠١/٩/٢١

الكبار يضحكون أيضاً!

حكاية بين السادات والقذافى فى ذكرى الأربعين!

[١] ■■■

اتجه الرئيس السادات والقذافى الى قصر الضيافة بجدة.. وقد ودعهما مؤقتا الأمير فواز أمير مكة.. واتجه الرئيس السادات إلى القذافى وقال له: يامعمر ماتتأخرش يامعمر.. ماتكسفناش

مع الناس دول.. انهم
اناس مـــــؤدبون
مهذبون.. ومايصحش
تلطعهم هنا..
ورد الرئيس القذافى
قائلا: أنا مش حعيب..
حاضر ومش.. مش
حغيب ياريس.
وعاد الرئيس يقول
له: يامعمر انا باقول
لك مايصحش فقال
الرئيس القذافى: اذا
أنا اتأخرت.. ان شاء
الله تضربنى بالعصا
ياريس.
وبسرعة قال
السادات: اعملها
يامعمر!
واتجه كل منهما
إلى جناحه الخاص.

وبعد نصف الساعة نزل الرئيس السادات بملابس الاحرام.. وبعدها بنصف ساعة أخرى نزل الرئيس القذافى. وظهر الضيق على وجه الرئيس السادات. وتقدم الأمير فواز إلى الرئيسين يدعوهما ليركبا معا سيارة واحدة إلى مكة لاداء العمرة فى الساعة الثانية صباحا.. ومن ورائهما عدد كبير من السيارات.

انور السادات

وفى اليوم التالى قال لى الأمير فواز: و لاكلمة بين الرئيسين طوال الطريق، وكنت احاول أن أقول شيئا ولكن وجدت الصمت الرهيب عند الرجلين فابتعلت لسانى ولم افتح فمى بكلمة. وأما الرئيس السادات فراح يدعو احيانا بصوت مسموع واحيانا فى سره.. لقد اخفى ضيقه من القذافى بالنظر من النافذة أو إلى سقف السيارة حتى لا تلتقى عيناه بعينى القذافى.. وانتابتنى الحيرة ولم اعرف كيف تنتهى الليلة التى بدأت بما يشبه القطيعة بين الرئيسين.

وامام باب الكعبة كان الرئيس السادات هو الذى بدأ بالكلام وكأنه أب غاضب على ابنه الصغير: انزل يامعمر..

ونزل، وسار الاثنان جنبا إلى جنب وبدأنا الطواف حول الكعبة..

[٢]

شئ عظيم أن تجد نفسك صاعدا إلى الكعبة وكأنك صاعد إلى السماء.. فأنت لا تشعر بوزنك ولا بخطوتك وكأنك مشدود إلى فوق.. وعند مدخل الكعبة تجد دلواً من البلاستيك أخضر اللون به ماء الورد.. اما داخل الكعبة فمظلم وانت تتجه إلى اية ناحية فأنت فى الكعبة وتستطيع أن تصلى فى أى اتجاه.. أو أنت تقف وتتعلق بالستائر السوداء بها.. كأنك فى مصعد معطر يطير بلا أجنحة إلى

حيث لاتدرى ولكنك أنت أيضا خفيف ولست فى حاجه لاإلى مصعد ولا اجنحة. ولا أحد يعرف ما الذى يجب أن تقوله فى داخل الكعبة.. ولكنك تنفجر بالدعاء لأمك وأبيك ولنفسك وتطلب وتطلب.. ولا أعرف ما الذى كنت أطلبه..واكتشفت اننى لم أقل شيئا وانما اتجهت بقلبى إلى قلب الكعبة..

وفجأة سمعت الرئيس السادات يزعق فى غضب! شئ غريب عجيب! وفى داخل الكعبة؟ ياساتر ماهذا؟ ما الذى يمكن أن يكون قد حدث فأغضب الرئيس السادات واخرجه عن حالة الصفاء والنقاء والبهاء والرواء والشفافية فى حضرة الله..

شئ عجيب ومريب.. ولا أعرف كم مضى من الوقت.. ولكنى بادرت بالنزول من الكعبة فى انتظار الرئيس لأعرف منه ماذا حدث..

وبعد لحظات وجدت الرئيس السادات قد نزل واقتربت منه:

خير ياريس..ايه اللى حصل؟!

وكنا متجهين من الكعبة إلى بئر زمزم. ولم يشأ الرئيس أن يقول شيئا. لكنه قرر أن يقول فيما بعد.. ولما حاولت ان اتركه على أن التقى به اثناء السعى بين الصفا و المروة..

أشار إلى أن ارافقه إلى بئر زمزم.. وكان الماء باردا.. توضأ الرئيس وشرب ومسح على وجهه كثيرا.

وخرجنا إلى ساحة المسجد الحرام. واقتربت أسأله فيه ايه ياريس؟

والتفت الرئيس غاضبا يقول: الجدع ده اللى اسمه القذافى مسك ذراعى واحنا جوه وقال لى: عاوز نعاهد ربنا ونعمل حاجه للقضية الفلسطينية.. أنا اتجننت.. حانعمل أكثر من كده ايه؟ بينما هو لم يدفع مليما واحداً ولاقدم لهم سلاحا.. وانت فاكر الطائرات اللى كان اعطاها لنا استردها قبل حرب أكتوبر. وهو رجل بخيل جدا.. كلام وبس.. فأنا قلت له: ايه اللى بتقوله ده.. ولما تنبهت إلى أننى فى داخل الكعبة لم أكمل كلامى معه.. لكنى تضايقت جدا..

وفوجئنا ونحن نسعى بين الصفا والمروة.. أن الرئيس القذافى ومرافقيه قد انفصلوا عن الرئيس السادات والسكرتارية والحراس.. وكان الرئيس مرهقا ولذلك كان لايهرول عند أماكن الهرولة..

بينما الرئيس القذافى كان يجرى هو ومرافقوه كأنهم فى سباق الحواجز أو اختراق الضاحية.ولما انتهى السعى.. فوجئنا بالرئيس القذافى يقف عند المروة وينادى بأعلى صوته: فين المره (المرأة) وينها المره (المرأة) هاتوا المره..

ولم نكن نعرف أن السيدة حرمه موجودة معه.. وانه يبحث عنها!

■■■ [٣]

وفى طريق العودة من المسجد الحرام إلى قصر الضيافة فى جدة.. كانت الساعة الرابعة صباحا.. وكان الطريق بين مكة وجدة مظلما فى معظمه.. والسيارات عددها عشرون واضواؤها الحمراء تبدو فى الظلام كأنها عيون عفاريت انشقت عنها الأرض.. وفجأة توقف الركب كله مرة واحدة. ونحن لانعرف ماذا حدث.. ولا أحد يستطيع أن يعرف. ولا أن يسأل أحدا. فنحن فى ركب طويل والمسافة بيننا وبين سيارة الرئيسين والأمير بعيدة..

ثم سافر الرئيسان السادات والقذافى إلى باكستان.

والتقيت بالأمير فواز أمير مكة وسألته: ماذا حدث ياطويل العمر؟

قال: ولا حاجه.. فجأة الرئيس القذافى طلب أن يشرب كوكاكولا لأنه عطشان جدا.. ولم يكن فى السيارة كوكا.. وطبيعى وقفت وطلبت أن تجى الكوكا من القصر..

وحاول الرئيس السادات أن يقنعه بأن يصبر دقائق حتى نصل إلى قصر الضيافة.. ولكن الرئيس القذافى عطشان واصر على أن يشرب الآن..

وجاءت الكوكا وشرب وكان سعيداً.

وبعدها بربع ساعة كنا فى قصر الضيافة.

وقد لاحظت أن الرئيس السادات كان متضايقا تماما.. وفيه حاجه تهمك أنت. لقد سألنى الرئيس إن كان فى جدة أحد من المهمين فقلت له: أنيس منصور.. انه يتعبد فى غار حراء. وهذا ممنوع عندنا تماما!

فقال الرئيس دون تردد لحظة واحدة: احبس أنيس منصور..

ولم يرد الأمير فواز..

ولكن الرئيس و الأمير لا يعرفان أن غار حراء مسدود تماما. واننى قد صعدت اليه وكتبت تحقيقا مصورا عن الغار والطريق الوعر ذى الاحجار المدببة.. ونشرت هذا التحقيق فى مجلة (أخر ساعة) التى كنت رئيس تحريرها فى ذلك الوقت.. ونشرت رحلتى ومشاعرى ومراجعاتى النفسية والفلسفية والصوفية فى كتاب لى اسمه (طلع البدر علينا). وقد اقفل السعوديون غار حراء حتى لايتزاحم عليه الناس وينشغلوا به عن الكعبة.

والسعوديون أحسن حالا منا.. فهم لايقدسون المكان.

فالقداسة لله فقط.. ولايقولون (مسجد الرسول) فى المدينة لأن المساجد و السجود لله وانما يقولون مسجد المدينة الذى دفن فيه الرسول.. حتى البيت الذى ولد فيه الرسول بمكة يشغله محل يبيع الكتب. والسعوديون يضيقون بوصف بلادهم بالأراضى المقدسة.. فليست الأرض كلها مقدسة ففيها مطاعم وفيها دورات مياه ومحطات بنزين. وانما هناك بقع فى السعودية لها عظيم الاحترام:

المسجد الحرام ومسجد المدينة وبقية المساجد..

ولما قابلت الرئيس السادات سألته عن حكاية انه طلب من الأمير فواز أن يسجننى فقال: جرى لك ايه يا أنيس يا أخى حبس كده وكده.. وأنت الكسبان لأنك سوف تكتب لنا حكاية من حكاياتك العجيبة.. فرصة لكى تكتب شيئا جديدا..

ثم سكت الرئيس وقال لى وكأنه يفاصلنى: بذمتك أنت مش زعلان أن الأمير فواز لم يسجنك ظلما وعدوانا.. هاها.

ثم عاد يقول: هوه حد طايل يتحبس فى غار حراء؟! هاها.. هاها.. ياأخى أنت ملكش فى الطيب نصيب!

[٤]

فى يوم سافر الرئيس السادات إلى غرب أفريقيا.. وكانت الأمطار غزيرة فغرزت الطائرة فى الأرض. ولم يستطع أحد تحريكها فالمطار بسيط وليس مستعدا لاستقبال هذا العدد الكبير من طائرات الرؤساء الافارقة.. ولا عندهم فنادق.. ولذلك نمنا فى احدى البواخر..

وجاءت طائرة أخرى وليست مزودة بجناح خاص للرئيس ومقاعد وثيرة للوزراء.

واعطى الرئيس تعليماته أن نأخذ راحتنا فى الطائرة وألا نتحرج إذا وجدنا الرئيس نائما على الأرض ونحن ذاهبون وعائدون من دورة المياه.. واندهشنا. وفوجئنا بأن الرئيس نائم على الأرض فعلا.. وكنا نمشى إلى جواره حريصين طبعا على ألا نصطدم به وكانت الطائرة مظلمة. وكان الرئيس نائما بعمق كأنه طفل صغير..

وطلع النهار واقتربت من الرئيس وقلت له: هل نمت جيدا ياريس؟

- أه الحمد لله . ارحم من النوم فى السجن.. هاها أنت مادخلتش السجن يأنيس..

- لا والله. لسه..

- إذا كنت عاوز ندخلك. هاها..

وكان الرئيس يريد فعلا أن ادخل السجن وأن اجرب الحياة الاليمة هناك.

وكأننى صعبت عليه فلم امر بهذه التجربة التى مر بها كثير من الزعماء والمفكرين والصحفيين فى كل الدنيا..

ومرة أخرى وفى حضور د. عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية قلت للرئيس السادات: ياريس أنت ماتقدرش تسجنى .. لانك لا تسجن أحدا!

فقال: الله! وهو أنت مش عارف اننى انا رد سجون. يعنى أحط لك (طربة حشيش) فى جيبك وادخلك السجن!

- طيب ليه ياريس؟

- يا أخى جرب .

- هل هى تجربة ضرورية؟

- اه ايوه أنا اشوفها ضروريه.. انها التجربة الوحيدة التى تجعل للحرية والكرامة والعزة مذاقا خاصا.. وهى اكبر امتحان لوطنيتك وصلابتك..ايه رأيك؟!..

- لا مش عاوز..

- هاها.. وهوه على كيفك يا أنيس..

- الله أنت ياريس مصمم أنك تدخلنى السجن؟

- اه..بس ابقى فكرنى يا أنيس!! هاها..هاها..

■■■ [٥]

وبمناسبة (طربة الحشيش) هذه فقد حدث فى طريق عودتنا بطائرة الرئيس السادات من السودان أن ظهرت حركات غير عادية.. للسكرتارية الخاصة والحراسة..ولكن احدا لا يقول أى شئ.. وحاولت مثل كل الزملاء رؤساء التحرير أن نفعل شيئا غير الكلام وغير النظر من النافذة إلى أرض مصر.

وأخذ بعضنا يعتصر النوم من المصابيح المضاءة فى الطائرة.

كيف؟ انها قدرة فريدة. ثم ينامون ويكون لهم صوت. انهم على راحتهم كأنهم فى بيوتهم.. وفجأة لاحظنا العلامات المضيئة تطلب منا ربط الاحزمة. لأننا نازلون. انها ليست القاهرة

وتساءلنا: أين؟ قالوا: أسوان..

وفى طائرة الرئيس لاتجد اجابات كثيرة. وهبطت الطائرة فى مطار أسوان. ولم نجد شيئا غير عادى فى المطار ولاكان هناك أى سبب.. ثم عرفنا السبب..

لقد وجد الاستاذ موسى صبرى عندما فتح حقيبته قطعة حديدة مربعة.. فأمسكها فى يده مندهشا لوجودها.. ثم اعادها إلى الحقيبة وراح يكتب. ولكن الحراسة المرافقة للرئيس اتصلت بالحراسات الخاصة وخبراء المتفجرات.. وقبل أن نصل إلى أسوان كان عدد من رجال الأمن و المباحث والمخابرات وخبراء الحرائق قد انتظرونا فى المطار..

ويفحص (الحديدة) التى فوجئ بها موسى صبرى وجدوها من ذلك النوع الذى يوضع على الورق حتى لايطير.. وكانت هذه (الحديدة) فى قاعة المؤتمر الصحفى بالخرطوم.

فوضعها موسى صبرى فى شنطته بحركة لاشعورية..

والغريب أن موسى صبرى بعد أن فرغ من كتابة ملاحظاته نام نوما عميقا بينما عيون الحراسة الخاصة تكاد تخرج من محاجرها وفى قلق جنونى على الرئيس والطائرة والركاب..

ولما عرف الأستاذ موسى صبرى سبب هبوط الطائرة المفاجئ اصيب بحالة من الرعب. ولم يستطع أن يجلس

فى مقعده وظل واقفا فى ذهول حتى هبطت طائرة الرئيس فى مطار القاهرة.

ودارت هذه المناقشة بين موسى صبرى ورجال أمن الرئيس:

الله.. هو ماكانش ممكن ترموا الحتة الحديدة من نافذة الطائرة؟

ـ هاها.. إذا انكسرت اية نافذة سقطت الطائرة كلها!

ـ امال بترموا القنابل والصواريخ ازاى؟

ـ مش من النافذة..

ـ امال؟

ـ من تحت الطائرة وبطريقة خاصة..

ولما علم الرئيس السادات بهذه المناقشة نادى موسى صبرى وقال له: جرى لك ايه ياموسى. ماهويا أنت يا الحديدة التى جبتها معاك.. المصيبة اللى انت بليتنا بيها..أنت كنت فاكرها طربة حشيش.. قلت ايه؟

ـ فى ايه ياريس؟

ـ يا انت يا الحديدة!

ـ تحت امرك ياريس!

ـ خلاص هوه موافق انكم ترموه من الشباك!

ـ بس الشباك صغير ياريس

ـ ياسلام.. تتقطع حتت.. يفرموك ياموسى..هاها..

أنيس منصور